مجلّة انـــتـحـــــــاء

Intihaa Journal

المجلد (01) العدد(02)(2024) : رقم صفحة البداية70 – رقم نهاية الصفحة85 ISSN : 2992-1546

الدّلالة الصّوتيّة للصّوائت القصار في القرآن الكريم

The phonological significance of short vowels in the Holy Qur'an

الدكتورة: زينة بورويسة

bourouissa.zina@ens-ouargla.dz

مخبر الوسائط التّعليميّة- المدرسة العليا للأساتذة بورقلة

المدرسة العليا للأساتذة بورقلة-الجزائر.

تاريخ الاستلام: 2024/11/07 تاريخ القبول:2024/11/30 تاريخ النشر:2024/12/07

ملخص:

تعدّ الحركات من القضايا الصوتية التي أولاها العلماء اهتماما كبيرا، لما لها من دلالات قيّمة لا يمكن تجاوزها. ويحاول هذا البحث وضع الحركات تحت بقعة ضوء من شأنها أن تبرز قيّمها التعبيرية انطلاقا من الإعراب الذي كان أول الوظائف الذي حفل بها الدرس العربي، وصولا إلى الدلالة الاجتماعية والدلالة على الجنس وغيرهما، مما تمّ توظيفه في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: صوائت؛ دلالة؛ القرآن؛ الحركة؛ القيمة التعبيرية.

Abstract:

Vowels (harakāt) are considered one of the phonetic issues that scientists have paid great attention to, due to their significant meanings that cannot be overlooked. This research aims to shed light on the vowels in a way that highlights their expressive values, starting from the role of inflection (i'rāb), which was one of the first functions

addressed in Arabic grammar, and extending to their social significance, their indication of gender, and other functions, as employed in the Qur'an.

Key words: Vowels, Significance, Qur'an, Movement, Expressive value.

مقدمة:

استرعت قضية الدلالة الصوتية اهتمام اللغويين، واستقطبت جهودهم من ملاحظات "ابن جني" وتصنيفات "الخليل" إلى يومنا هذا باعتبارها ذات أهمية عظمى في فهم النص القرآني، وترجم اهتمامهم بالإعراب والقراءات القرآنية واللهجات وعيا مبكرا وناضجا لقضية الصوائت القصار(الحركات) وقيمها التعبيرية في القرآن الكريم المعجز بتعالق صوتي- دلالي منقطع النظير، ولعل ذلك ما حذا بهم إلى وضع معاجم الأبنية التي تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى.

الصوائت القصار في الدرس اللغوي:

أجمع جمهور العلماء ،القدامى والمحدثون، على أنّ الصوائت في اللغة العربية نوعان هما:

أ- صوائت قصار: وسميّت بالحركات، وهي الفتحة والضمة والكسرة.

ب- صوائت طوال: وسميّت أيضًا أصوات المد، العلل، أصوات اللين وهي: الألف والواو والياء، إلاّ أ نهم اختلفوا في أسبقيتها ؛ فقال فريق: إنّ الحروف (أ، و، ي) سبقت الحركات (الفتحة الضمة، الكسرة)، وقال أخر بأنّ الحركات أسبق، وقال فريق ثالث بحصولها معًا. وعرض "ابن جِنّي" لهذه القضية في (الخصائص): وناقش أدلة كل فريق، ثمّ انتصر لـ"سيبويه" الذي يرى بأنّ الحرف أسبق من الحركة . يقول "ابن جِنّي" مُتَحَجِّجًا«فَمِمَّا يشهَدُ

لسيبويه بأنّ الحركة حادثة بعد الحرف وجودنا إيّاها فاصلة بين المثلين مانعة من إدغام الأول في الآخر؛ نحو الملَل والمشَش والضفف ، كما تفصل الألف بعدها بينهما؛ نحو الملال والضفاف والمشاش .وهذا مفهوم . وكذلك شددت ومددت فلن تخلو حركة الأوّل من أن تكون قبله أو معه أو بعده. فلو كانت في الرتبة قبله لما حجزت عن الإدغام ؛ ألا ترى أنّ الحرف المحرّك بها كان يكون على ذلك بعدها حاجزًا بينهما وبين ما بعده من الحرف الآخر».[1]

وأما القائلون بأسبقية الحركات على الحروف فقد« اِسْتَدَلُّوا على ذلك بأنّ الحركات إذا أشبعت حدثت منها هذه الحروف الثلاثة، واستدُلوا أيضا أنّ العرب قد استغنت في بعض كلامها عن الواو بالضمة وعن الياء بالكسرة، وعن الألف بالفتحة، فيكتفون بالأصل عن الفرع، لدلالة الأصل على فرعه »[2] . أَمَّا الفريق الثالث فرأى أنّه « ليست الحروف مأخوذة من الحركات ولا الحركات من الحروف؛ إذ لم يسبق أحد الصنفين الآخر»[3] .

وبمقارنة الصّوائت القصار والطَّوال نقف عند النقاط التالية :

1- جعل "ابن جني" الحركات أبعاض حروف المدّ واللّين، «وسبب ذلك أنّ الحركة حرف صغير؛ أَلاَ ترى أنّ من متقدِّمي القوم من كان يسمي الضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة ، والفتحة الألف الصغيرة. ويؤكِّد ذلك أنك متى أشبعت ومطلق الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها»[4]

2- تشترك الصّوائت القصار والصّوائت الطِّوال في طريقة النطق إذ عند«التلفُّظ بها يمر الهواء عبر جهاز النطق بطلاقة، والأمواج الصوتية، في هذه الحالة، تحدثها الأوتار وحدها»[5].

3- تختلف الصّوائت القصار عن الصوائت الطوال في المدة التي يتم فيها النطق بها؛ ف «الحركة إذا أطيل زمن النطق بها صارت حرف مد ،وكذلك حرف المد إذا قصُرَ زمن النطق به رجع إلى الحركة»[6].

4- تعتبر كل من الصوائت القصار والصوائت الطوال مهمة في المحافظة على دلالة الكلمة المقصودة.

الصوائت كالصوامت تؤدّي دلالات معينة في التشكيل الصوتي سواء منها القصيرة أو الطويلة. وقد انتبه القُدامى إلى هذه القضية، إلاّ أنهم ركّزوا اهتمامهم على الصوائت الطِّوال دون القِصار باعتبار أنّ الأولى ذات رموز خطية لا استغناء عنها، أمَّا الثانية فإنهم «لم يلتفتوا إليها التفاتا كافيا ينبئُ عن موقعها بوصفها مكونات النظام الصوتي لِلّغة. لقد نظروا إليها وتعاملوا معها كما لو كانت شيئاً عارضاً، أو تابعاً للحروف (الأصوات الصامتة) ليس لها استقلال أو كيان خاص. نلمس هذا من جملة ما صنعوا معها ، بل عدّها بعضهم (زوائد)، ليست أصلاً في بناء الكلمة »[7].

لكن هذا لا يعني أنهم لم يدركوا قيمة هذا العنصر الصوتي في المعنى، بل كانت لهم جهود وآراء تميّزت بـ:

1-الاهتمام بالحركات اهتماما بالغًا في تناول الظاهرة الإعرابية التي هي دليل صحة الكلام أو خطئه.

2- تحديد وظيفة الصّوائت في اللّغة، وقصرها على تحوير المعنى الرئيسي وتعديله، والذي ينبني أساسًا من الصّوامت.

3- إهمال الصّوائت القصيرة (الحركات) في الكتابة الأفقية وفصلها في مواقع فوقية أو تحتية، ما لا يخوّل لها أن تكون جزءًا من نسيج الكلمة.

ومن بين ما قدّمه القُدامى«معاجم الأبنية في العربية، و فيها يظهر بوضوح كيف يتغيّر معنى المبنى بتغيّر الحركة (الصّائت)، كما يتغيّر الحرف (الصامت). وفي إطار اهتمامات القدماء بالألفاظ التي تتّفق من حيث الحروف(الصّوامت)، وتختلف فيما بينها من حيث الحركات (الصّوائت) مع اختلاف المعنى تِبَعًا لاختلاف الحركة»[8].

وأولى الأعمال الناضجة في هذا الميدان (مثلثات قطرب) التي اهتمَّ فيها بإيراد الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات مع اختلاف معانيها، وهي مثلّثات قامت حولها شروح كثيرة كشرح "السّيوطي"، وحَدَت حَدْوَها مؤلّفات كثيرة إلاّ أنّ كل هذه المؤلّفات المثلّثية اقتصرت على دراسة الصّوائت القصيرة دون الطّويلة. أمّا في العصر الحديث فإنّ المكتبة العربية لا تخلو من الكتب والدّراسات التي تحاول أن ترسم مسارًا دلالياً للصّوائت سواء منها القصيرة أو الطويلة.

ثانيا: الدلالة الصوتية للصوائت القصارفي النص القرآني :

نحاول في ما يلي رصد بعض دلالات الصّوائت القصار في النص القرآني من خلال سورة مريم:

1- الإعراب والإبانة عن المعنى مقابل لزوم الرتبة:

قامت منذ القديم جهود في اللغة العربية حول الوظيفة الدّلالية للحركات، فأجمعت على أنّ حركات الأسماء تنبئ عن معانيها أن تغيّر أواخر الكلمات مرتبط بما يصيب معانيها من تغير، وقد رأى "ابن جني" أن حركات الإعراب دوال على المعاني، وبرهن على أنها تدخل في الكلام لأداء وظيفة أساسية في اللغة لتبيين و توضيح المعنى، يقول: «ألا ترى أنك إذا سمعتَ أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمتَ برفع أحدهما ونصب الأخر. الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً ستهم أحدهما من صاحبه»[9].

قدم الباحثون في العصر الحديث مجموعة من الدراسات حول دلالة الحركات، لا يتّسع المقام لذكرها، خلصت إلى أنّ«الجملة العربية جملة اختيارية التركيب، يجوز بدؤها بالاسم مثلما يجوز بدؤها بالفعل، وقد يجوز تقديم المفعول على الفعل و الفاعل، والخبر على المبتدأ، لذلك وجب ضبط المعاني بعلامات ترشد إلى المقصود، ولا يأتَّي ذلك في العربية إلا بحركات الإعراب، وفي هذا دليل على أنّ هذه الحركات دوال على المعان، فالرفع علم الفاعلية، و النصب علم المفعولية و الخفة، والجرّ علم الإضافة»[10].

وإن شئنا التخلّي عن الحركة الإعرابية في الكلام، لجأنا إلى الحلّ المقابل لها، والمتمثل في لزوم الرتبة، بحيث لا يتقدّم مفعول على فاعل، ولا خبر على المبتدأ....وواضح ما في هذا الحل من مشقة وتجميد لتراكيب اللُّغة العربية.

ولتباين دور الحركة الإعرابية في توضيح المعاني، نسوق الأمثلة الآتية:

1- قال تعالى:﴿ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**﴾[11].

- اختلف القُرّاء في قراءة ﴿**قَوْلَ**﴾:«قرأ "الشَّامي"[12] و"عاصم" و"يعقوب" بنصب اللاّم والباقون برفعها»[13].

فأمّا القراءة بنصب اللاّم فتوقع﴿**قَوْلَ**﴾موقع المفعول المطلق مقدّر العامل، والأصل: أَقُولُ قَولَ الحَقِّ.

وأمّا القراء برفع اللاّم فتوقع ﴿**قَوْلُ**﴾موقع الخبر المرفوع للمبتدأ (ذلك).

2- قال تعالى: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً**﴾ [14].

قُرِئت ﴿**جَنَّاتِ**﴾ بالكَسْرِ عند جميع القُرَّاءِ، ما أبان عن معناها وأوضَحَ أنّها بَدلٌ ﴿للجنّة﴾ الواردة في الآية التي قبلها (المعربة مفعولاً به)، إذ في هذه الآية كان المراد الوصف والإبانة لهذه الجنة التي يدخلها من تاب وعمل صالحاً.

3- وقد يؤدّي تغيير حركة أحد أجزاء الجملة إلى تغيّر تام للمعنى المراد في الآية، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً**﴾ [15]، إذ قرأها « نافع وحفص والأخوان وخلف وأبو جعفر بكسر الميم وجرّ التاء الثانية من تحتها، والباقون بفتح الميم ونصب تاء تحتها»[16] ، بمعنى أنّها قرئت : (مِنْ تَحْتِها) و (مَنْ تَحْتَها)، فحركة حرف الميم في (من) حوّلتها من أداةٍ جارّة (مِنْ) ، إلى اسم موصول في محل رفع فاعل، ويعود على النبي "عيسى" عليه السلام

والأمثلة من هذا السياق كثيرة، منها﴿ يرجعون﴾ في قوله تعالى: ﴿**إنّا نحن نرثُ الأرضَ ومَنْ عليها وإلينا يُرْجعون**﴾[17] ، التي قرئت بفتح الياء وكسر الجيم﴿ يَرجعون﴾ فيكون الفعل بذلك مبنيًّا للمعلوم، وبضم الياء وفتح الجيم﴿ يُرجعون﴾ فيكون الفعل مبنيًّا للمجهول، دالّا على قِوىَ إلاهية تجبرهم على الرّجوع إلى الله بعد استرجاع الأرض ومن عليها، وليس للإنسان تخيير في ذلك.

2- دور توالي الحركات في التدليل على المعنى وضبط الدلالة:

انتبه "سيبويه" إلى هذه الفكرة القيّمة، وأثنى عليها "ابن جني " في كتابه (الخصائص)، يقول:« وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنّها تأتي للاضطراب والحركة؛ نحو النقزان والغليان، والغثيان ،فقابلوا بتوالي حركات المثال، توالي حركات الأفعال»[18] .

وكأنّ العرب تحسّست في الأفعال تتابُعًا في الأداء والحركة، فعبّرت عنه بتوالي وتتابع صوتي للحركات، ليكون الصوت ممثّلا ومعبّرًا عن الفعل، وفي هذا نورد المثال التالي من سورة مريم:

قال تعالى:﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً ۝ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً**﴾[19] .

يقسم تعالى في هذه الآية أن يجمع الكافرين وشياطينهم ويحشرهم جميعًا معًا جثيا حول جهنّم على ركبهم أذلاء صاغرين، ثم يأخذ من كل طائفة من تلك الطوائف أشدهم تمرّدًا على طاعة الله.

وتوحي الحركات المتتالية في هذه الآيات عن توالي حركات ومشاهد البعث والحشر والحساب والعقاب وسرعتها، وحتميتها حتّى لا يظن الكافرون بإمكانية الخلاص منها، والنجاة من حساب وعقاب الله تعالى، بل ليحسب الناس يومها لِسرعَة توالي الأحداث، أنّهم لم يلبثوا في الدنيا إلاّ عشية أو ضحاها.

3- دلالة الحركة على الجنس:

أُصْطُلِحَ في اللغة العربية، على جعل حركة الفتحة دالّةً على المذكّر في المخاطب، وحركة الكسرة دالّة على المؤنث، أي أُصطلح على استعمال الحركة في الدّلالة على الجنس، يقول تعالى مخاطباً النبي زكريّا:﴿ **قال كذلِكَ قَالَ رَبُّكَ هو عليَّ هيّنٌ**﴾[20]، فالفتحة الظاهرة على كاف كذلك دالّة على الجنس المذكّر، فيما تدلّ الكسرة الظاهرة على كاف كذلك على الجنس المؤنث في خطاب الرسول لمريم عليها السّلام: ﴿**قالَ كذلِكِ قال ربُّكِ هو عليَّ هيّنٌ**﴾[21].

4- تغيّر الدّلالة لتغيّر الحركة:

تؤدّي حركات البنية دورًا كبيرًا في تحديد معاني كثير من الأسماء؛ إذ يحدث أن تتشابه كلمتين أو أكثر في نوع الصّوامت وعددها وترتيبها لكنها تختلف من الناحية الدّلالية، لاختلاف حركات الصّوامت، وسنورد فيما يلي بعض الأمثلة الموضّحة:

1- قال تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً**﴾[22].

يستثني الله تعالى في هذه الآية التائبين، من الخلف السّيئ الذي خلف الأنبياء الصالحين، المؤمنين العاملين صالحًا أنهم يدخلون الجنّة جزاء توبتهم وإيمانهم ، ولا يُنْقَص من عملهم شيءٌ.

الجَنَّةُ: بفتح الجيم، الحديقة ذات النخل والشجر، وجمعها جنان .

الجِنّة: بكسر الجيم، طائفة من الجن، ومنها الجنون.

الجُنّة: ما يستتر به ،ومنه الولد في البطن أجنّته الحامل أي سترته في بطنها.

2- قال تعالى: ﴿ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً** ﴾[23].

هذه الآية على لسان قوم "مريم" يوبّخونها ويرمونها بالزّنا، بعد أن عادت إليهم تحمل النبي "عيسى"-عليه السلام- بين يديها، فما كان أبوها رجُلاً يأتي الفواحش، ولا كانت أمها امرأةً زانية، بل إنها، "مريم"، ابنة البيت الطّاهر والأسرة الشريفة.

البَغِيُّ و البَغُوُّ: الأَمَةُ، أو الحُرّة الفاجرة.

البَغْيُ: العُلُو، والظلم، والعدول عن الحق، ومنه البَغْيُ: الكثير من المطر.

وهنا تجدر الإشارة إلى المغالطة التي وقع فيها بعض الدارسين الذين اعتبروا أنّ الحذف واقع في فاصلة الآية ﴿وما كانت أمُّك بغيًّا﴾، فالأصل فيها، كما رأوا((بَغِيَّةً)) وحُذِفت منها تاء التأنيث رعَايَةً للبعد الصّوتي في فواصل السورة[24] .

والخطأ واقع في أنّ البَغِيّة : ما ابْتُغِيَ، والبُغْيَةُ كالبِغْيَة : الضالّة المبغية ، وكُلُّها من الفِعل بَغِيَ، وبَغَيْتُهُ: طَلَبْتُهُ.

أمّا المقصود في الآية الكريمة فهو البَغِيُّ، وبَغَت الآمة: عَهَرَت ، والله أعلم..

3- قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً**﴾[25].

يُخْبِر تعالى في هذه الآية أنّه سيجعل للمؤمنين، العاملين الصالحات، محبّةً ووُدًّا في قلوب أهل الإيمان.

الوِدُّ والوِداد: الحبُّ.

الوُدُّ: المُحِبُّ.

الوَدُّ: مصدر وَدِدتُ، وهو يودُّ من الأمنية.

ووَدٌّ: صنم كان يَعْبُدُه قومُ نوحٍ، قال تعالى: ﴿**وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تذرُنّ وُدًّا ولا سُواعا ولا يَغُوثَ ويعوقَ ونَسْرًا**﴾[26] .

4- قال تعالى: ﴿**ونَسُوقُ المُجرِمِينَ إِلَى جَهَنَّم وِرْداً**﴾[27].

في هذه الآية ،مشهد من مشاهد يوم القيامة حين يُساقُ المجرمون على أنفسهم بالمعاصي والذنوب، مشاة على أرجلهم ،يُساقُونَ سَوْقَ البهائم إلى جهنّم .

الوِرْدُ: القوم يردونَ المَـاءَ، فعله: ورَدَ.

الوِرْدُ: النّصيب من قراءة القرآن.

الوَرْدُ: اِسم نَوْرٍ ،ووردت الشجرة أي خرج نورُها .

الوَرْدُ: النّصيب من قراءة القرآن.

5-قال تعالى:﴿**وَ أَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُوَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾[28]

يأمر تعالى نبيَّه الكريم أن يندر الكفّار والمشركين من عاقبة ما يفعلون في يومٍ تشتدّ فيه الحسرة وتعظم الندامة ،وأن يفيقهم من غفلتهم التي تمادوا فيها .

الغَفْلَـة: مؤنّثا لغَفَل: وهو التَّرك والسَّهْوُ .

الغُفْلَـةُ :مؤنث الغُفْل ؛ من لا يُرْجي خيره ، ولا يُخْشي شَرُّه، وما لا علامة فيه.

6-قال تعالى: ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قَرْنٍ هل تُحِسُّ منهم من أحَدٍ أو تسمَعُ لهم رِكزا**﴾.[29]

يذكر الله تعالى في هذه الآية الأخيرة من سورة مريم كيف أهلك القرون السابقة التي كذّبت المرسلين وحاربت دعوتهم ؛فهل ترى أَحَداً منهم بعينيك أو تسمعُ لَهُمْ صَوْتاً وَلَوْ خَفيفاً، والاستفهام هنا إنكاري.

الرِّكْزُ: الصوتُ الخفيُّ من بعيدٍ.

الرَّكْزُ: الرّجل العالمُ العاقِلُ السخيُّ، الكريم .

الرَّكْزُ: غرسُ الشيء منتصِباً كالرُّمح .

وتجدر الإشارة في النهاية ،إلى أنّ هناك أسماء في اللُّغة العربية لا تختلف دلالتها،وإن اختلفت حركة أحد حروفها، مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى :﴿**لقد جئتم شيئا إِدًّا**﴾.

فالأَدُّ، والإِدُّ، والآدُّ :العجَبُ ،والأمر الفظيع والدّاهية والمنكر ،والغلبة والقوّة.

5- الدلالة الاجتماعية للحركات:

تنطوي تحت اللغة العربية ، كغيرها من اللغات ، العديد من اللهجات التي تمثل بيئات لغوية مختلفة، إذ أنَّ لكل بيئة صفات لغوية تختصّ بها، إلّا أنّها تنتمي جميعها إلى لغة عامة مشتركة في لغة التفاهم والتخاطب الرسمية بين أفراد هذه البيئات كُلّها، واللّهجة «مجموعة من الصِّفات الصوتية، أو البنائية، أو النحوية التي تنتمي إلى بيئة لغوية اِجتماعية خاصّة،بحيث يشترك في هذه الصِّفات جميع أفراد البيئة الخاصّة بهذه اللّهجة».[30]

والمتفق عليه أن:

1- معظم هذه الصّفات اللهجية، تتجاوز الأشكال إلى المضامين؛ أي تتجاوز الأداء الصوتي والخطي إلى الدّلالي.

2-هذه الصّفات اللهجية انعكاس لخلفيات الناطقين بها من الناحية الاجتماعية أو الثقافية....

وقد أدَّى الاختلاف اللهجي في اللغة العربية إلى ظهور القراءات القرآنية ،وهي«اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف و كيفياتها من تخفيف وتشديد وغيرها، ولابدّ من التلقِّي والمشافهة ،لأنّ القراءات القرآنية أشياء لا تُحَكمُ إلاَّ بالسّماع والمشافهة»[31] ، وقد حصلت هذه القراءات على الشرعية في الأخذ بها باعتبارها وجوه أدائية (صوتية، بنائية، نحوية) في قراءة القرآن الكريم.

وإذا حصرنا كلامنا في اختلاف القراءات على الجانب الصوتي، فإننا نشير فيما سيأتي إلى أهم الظواهر الصوتية التي تصيب بعض كلمات القرآن الكريم باختلاف القراءات:

1- التغيّر الذي يطرأ على أحد أصوات الكلمة، سواء بالإبدال أو بالتغيير إلى صوت يختلف عنه تماماً.

2- التغيّر في بعض الحركات التي تكون على حروف الكلمة مِمّا هو خارج الإعراب.

3- اختلافات لهجية صوتية، كالتفخيم، والترقيق، والإظهار و الإدغام؛ و.....[32].

ولمّا كان للبيئة الاجتماعية الأثر الكبير في تشكل هذه اللهجات ،صارت هذه الأخيرة دالة على الأولى. وفي الدلالة الاجتماعية للتغيرات الصوتية نقصر كلامنا على التغير في الحركات ونورد الأمـثلة الآتية:

1- قال تعالى على لسان بنيه زكرياّ:﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**﴾[33].

وفيها يتعجّب النبي "زكريا" عليه السلام،وهو يدري أن قدرة الله عظيمة ،كيف يأتيه الولد وزوجته امرأة عجوز عاقر ،وأنّه بلغ من العمر ما أفنى قوّته وأضعف عظمه ،وهو ماعبّر عنه النص القرآني بالعتيّ.

وقد اِختلفت القراءات القرآنية في عين (عتي) ،إذ كسرها حفصْ[34]﴿**عِتِيًّا**﴾. وضمّها الأخوان "حمزة الكوفي" و "الكسائي الكوفي" [35]﴿**عُتِيًّا**﴾.

وجاء في (لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم)لأبي عبيد القاسم بن سَلاّم(157-224)هـ أن (عِتِيًّا) هي :

- التحول بلغة حمير.
- الأمر العظيم بلغة قريش.

أمّا في المعاجم فقد جاء أنّ العِتِيّ و العُتِيّ و العَتِيّ ذات معنى واحد في اللغة ، وفعله" عُتِيًّا وعِتِيًّا و عَتِيًّا: استكبر، وجاوز الحدّ"[36].

2- قال تعالى: ﴿**فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً**﴾[37].

جاءت هذه الآية في سياق حديثه تعالى عن الطّاهرة "مريم" حين حملت بـ"عيسى" من غير زوج وضاقت بها السّبل أمام عيون وكلام الناس الذين رموها بالزنا والفاحشة، وجاءها المخاض وآلام الولادة فاشتدت الدنيا بها ضيقًّا فتمنت الموت، وتمنت أن تكون شيئًا متروكًا لا يذكر ولا يعرف ، وهو ما عبّر عنه النص القرآني ب(نسيًا).

اِختلفت القراءات في حركة نون ﴿نسيًا﴾فقرأَهَا «"حفص" و"حمزة الكسائِي" بفتح النون، وغيرهما بكسرِها»[38]، أي ﴿نَسْيًا﴾

﴿نِسْيًا﴾ وكلاهما من الفعل نسيَ، و« النّسي، بالكسر ويفتح ، ما نُسِيَ، وما تلقيه المرأة من خَرَقِ اعتلالها»[39] . وقال "الأصفهاني" في هذه الآية «أي جاريًا مجرى النسّي القليل الاعتداد به وإن لم يُنْسَ ولهذا عقّبَه بقوله منسيًّا لأنّ النّسي قد يُقال لما يَقِلُّ الاعتداد به، وإن لم ينس ، وقُرِئَ نِسِيًّا وهو مصدرٌ موضوع موضعَ المفعول»[40] .

خاتمة:

حاول هذا البحث أن يسلط الضّوء حول القيم الدلالية التي تستطيع الصوائت القصار أن تقدّمها، وتمثيلها المدى الذي يمكن أن يتعالق من خلاله المستويان: الصّوتي والدّلالي. وتماشيًا مع هذا الهدف أسجّل أهم النتائج التي أستطاع هذا البحث القصير التأكيد عليها:

1/ قضية التعالق الصّوتي الدّلالي قضية انتبه المتقدمون إليها، وعمل المحدثون على ترسيخ معالمها ، وهي قضية تفرض نفسها، ولا تترك مجالاً لإنكارها.

2/ علاقة الصّوائت بالدّلالة تتمّ في المستوى التركيبي(مستوى الأصوات المفردة والمركبة).

3/ تلعب الصّوائت، عدًّا عن تسهيلها للنطق، دورًا أساسيًا للتفريق بين المعاني والتدقيق فيها وقد أنتبه القُدامى في أهميّتها وأولوها اهتماما بالغًا في تناول الظاهرة الإعرابية.

4/ اختلفت القراءات القرآنية في حَركات بعض الألفاظ للقرآن الكريم ممّا أدىّ إلى اختلاف دلالة هذه الألفاظ في معظم الأحيان.

المصادر و المراجع:

المعاجم:

1. الحسين بن محمد (الراغب) الأصفهاني،**معجم مفردات ألفاظ القرآن** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 2009م.
2. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تح أنس محمد الشامي، دار الحديث القاهرة، د.ط، 2008م.

المصادر:

1. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
2. ابن الجزري، **التمهيد في علم التجويد** ، محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري، تحقيق فارس بن فتحي بن ابراهيم، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2006.
3. أبو الفتح عثمان ابن جني، **الخصائص**، تح محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية، (دت)، ج2.
4. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن** ، تح محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث ، القاهرة،2008م.

المراجع:

1. رجب عبد الجواد إبراهيم،**موسيقى اللغة** ، دار الآفاق العربية ، دط ، 2003م.
2. صالح سليم عبد القادر الفاخري، **الدلالة الصوتية في اللغة العربية**، مؤسسة الثقافة الجامعية، (دت).
3. عبد الفتاح القاضي، **البذور الزّاهرة** ، مكتبة أنس بن مالك، مكة، ط1، 2002م.
4. غانم قدّوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** ، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2003م.
5. كمال بشر، **علم الأصوات** ، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 2000 م.
6. محمد محمد داوود، **الصّوائت و المعنى في العربية** ، دار غريب، القاهرة، 2000م.

7. مصطفى حركات، **الصوتيات والفونولوجيا**، دار الأفاق، الجزائر، دت.

8. هادي نهر، **التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية** ،عالم الكتب الحديث ،ط1، الأردن، 2008م .

---

(1) ابن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية، دت، ج2، ص: 322.

(2) ابن الجزري، **التمهيد في علم التجويد** ،تح: فارس بن فتحي بن ابراهيم، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2006، ص: 30 .

(3) نفسه ، ص: 31.

(4) ابن جني، الخصائص، ج2، ص:315 .

(5) مصطفى حركات، **الصوتيات والفونولوجيا**، ، دار الأفاق، الجزائر، د.ت، ص: 49

(6) غانم قدّوري الحمد، **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2003، ص: 426.

(7) كمال بشر، **علم الأصوات**، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 2000، ص: 426، 427.

(8) محمد محمد داوود، **الصّوائت والمعنى في العربية**، دار غريب، القاهرة، 2000، ص:20.

(9) ابن جني، **الخصائص**، ج1،ص:35.

(10) صالح سليم عبد القادر الفاخري، **الدلالة الصوتية في اللغة العربية**، ، مؤسسة الثقافة الجامعية، ص:78.

(11) مريم/ 34.

(12) الشامي هو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي قاضي دمشق ،أحد القرّاء العشرة (ت 154)هـ

(13) عبد الفتاح القاضي، **البذور الزّاهرة** ، مكتبة أنس بن مالك، مكة، ط1، 2002، ص:247.

(14) مريم/ 61.

(15) مريم /24.

(16) عبد الفتاح القاضي،**البذور الزاهرة**، ص: 248.

(17) مريم / 40.

(18) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص: 152.

(19) مريم/68،69 .

(20) مريم/09

(21) مريم/21

(22)مريم/60

(23)مريم/28.

(24) ينظر ، رجب عبد الجواد إبراهيم، **موسيقى اللغة** ،دار الآفاق العربية ، دط ، 2003، ص:31.

(25)مريم/96.

(26)نوح/23.

(27)مريم/76.

(28)مريم/39.

(29)مريم/ 98.

(30)هادي نهر، **التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية**، عالم الكتب الحديث ،ط1، الأردن، 2008م ،ص:23.

(31)الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت، (دط)، (دت)، ج1،ص:365.

(32)ينظر: هادي نهر، **التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية**، ص:55.

(33) مريم/ 08.

(34)أحد راويي عاصم، وهو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الكوفي . ويكنّى أبا عمرو، وكان ثقة، (ت 180ه

(35)حمزة الكوفي هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيّات(ت 156ه) أمّا الكسائي الكوفي هو علي بن حمزة النحوي ،(ت 189ه).

(36)الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تح أنس محمد الشامي ، دار الحديث القاهرة، د.ط، 2008، مادة عتو، ص :1050.

(37)مريم/ 23.

(38)عبد الفتاح القاضي، **البذورالزّاهرة**، ص:247.

(39)الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة نسي ، ص:1606 .

(40)الراغب الأصفهاني، **معجم مفردات ألفاظ القرآن** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 2009، مادة نسي، ص:372.